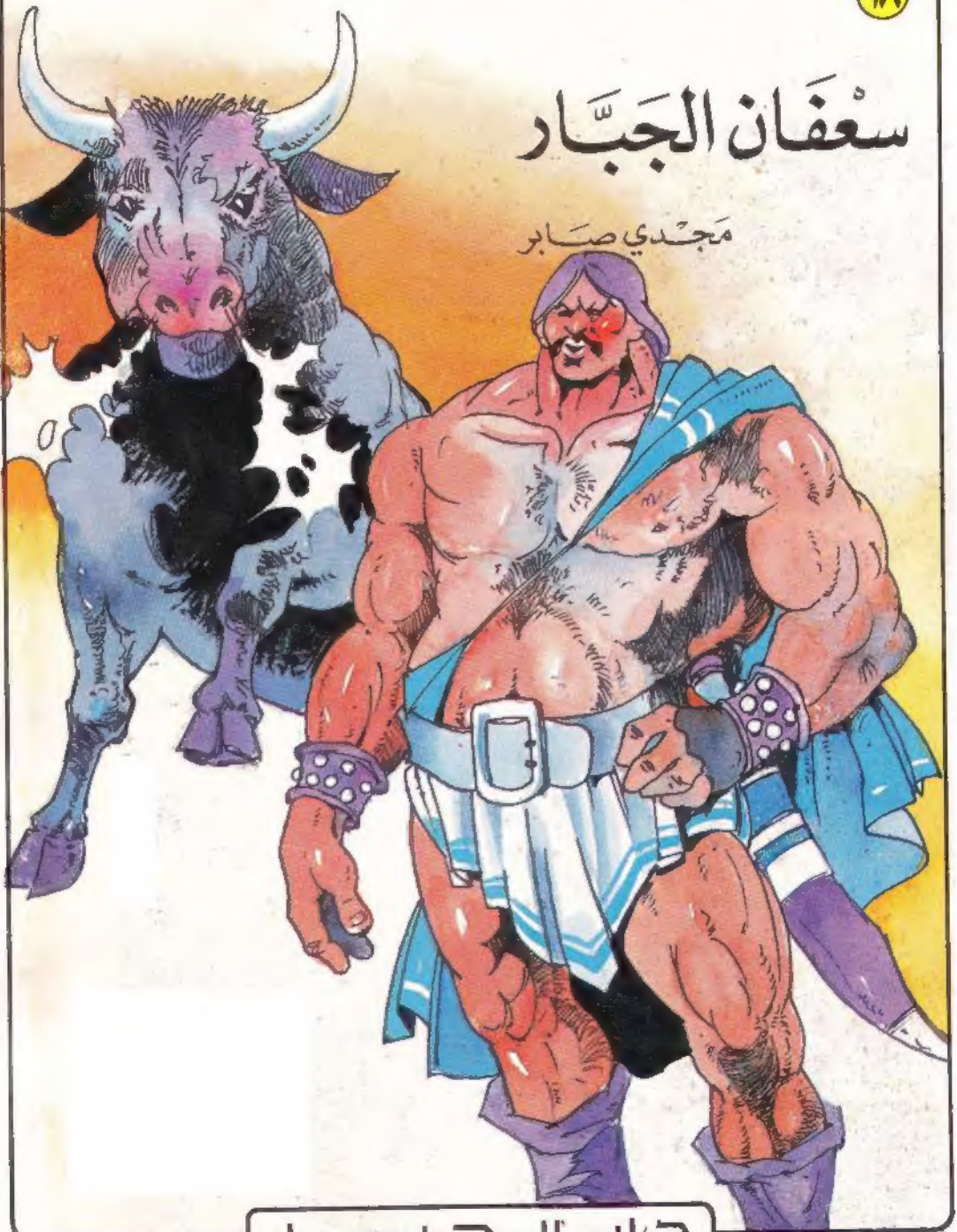


سُفَّان الجَبَّار

مَجْدِي صَابِر



مَكْتَبَةُ الطِّفْلِ الْعَرَبِيِّ

١٨

سُفَّانُ الْجَبَّارِ

تأليف

مَجْدِي صَابِر

دار الحديث

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الثانية

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

تأليف : مَجْدِي صَابِر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصص الأطفال ، كُتِبَتْ بأسلوب أدبي ممتاز، يمتزج فيها الخيال مع الواقع . . والحلم مع الحقيقة ، لتصنع عالماً أخاذاً مُبهرًا، يناسب عقل وسن قارئها الصغير ، ويفتح أمام عينيه أبواباً لا حصر لها من المعرفة والقيم التربوية والأخلاق النبيلة .

ونحن نشكر بأن تؤدي هذه المجموعة القصصية المكتوبة والمختارة بعناية بالغة ، الغرض منها تمامًا ، وتحاول أن تسد بعض النقص في مكتبة الطفل العربي ، دون أن تستهين بعقله ، أو تتخطى قيمه وعاداته .

ونأمل أن تكون قد حققنا الهدف الذي نرجوه من إصدارنا لهذه المكتبة ، وأن تحتل قصصها مكانها اللائق في مكتبة كل طفل عربي .

سَعْفَانِ الْجَبَّارِ

يُحْكِي أَنَّهُ . . مُنْذُ وَقْتٍ بَعِيدٍ، رُبَّمَا مَائَةِ أَوْ أَلْفٍ مِنْ
السَّنِينَ، عَاشَ رَجُلٌ فَقِيرٌ يُدْعَى «سَعْفَان». وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ
رَجُلًا خَارِقًا، طَوِيلًا . . طُولُهُ يَزِيدُ عَلَى مِثْرَيْنِ، وَعَرِيضًا،
أَعْرَضَ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ مَرَّتَيْنِ. وَكَانَ «لِسَعْفَان» قُوَّةٌ هَائِلَةٌ كَأَنَّهُ هِرْقُلُ
أَوْ شَمْشُونُ الْجَبَّارِ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا صَارَعَ مَائَةَ رَجُلٍ تَغَلَّبَ عَلَيْهِمْ
جَمِيعًا. وَإِذَا وَاجَهَ أَلْفَ رَجُلٍ، صَرَخَ فِيهِمْ صَرْخَةً مُرْعِبَةً،
يُسْمَعُ دَوِّيُّهَا فِي كُلِّ الْأَرْكَانِ، وَتَهْتَزُّ لَهَا الْجِبَالُ وَالْوُدْيَانُ، وَعِنْدَمَا
يَسْمَعُهَا مُهَاجِمُوهُ يَتَفَرَّقُ شَمْلُهُمْ وَيَفْرُونَ مَذْعُورِينَ. وَقَدْ زَلْزَلَ
صَرَاحُ «سَعْفَان» كَيَانَهُمْ وَأَرْعَبَ فَرَائِصَهُمْ . . لِذَلِكَ أَسَمَاهُ النَّاسُ
«سَعْفَانِ الْجَبَّارِ».



وَأَشْتَغَلَ «سَعْفَان» فِي جَيْشِ الْوَالِي، فَكَانَ أَبْرَزَ جُنُودِهِ
وَأَقْوَاهُمْ، لَا يَهَابُ عَدُوًّا مَهْمَا كَانَ وَإِذَا أَشْتَغَلَتِ الْحَرْبُ، إِنْدَفَعَ
كَأَنَّهُ فِرْقَةٌ كَامِلَةٌ، أَوْ جَيْشٌ عَرْمَرَمٌ، فَيُفَزَعُ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِرْقَتَيْنِ
أَثْنَتَيْنِ فِي كُلِّ صَرْخَةٍ، وَيَصْرَعُ مِنْ جُنُودِهِمْ ثَلَاثَةً فِي كُلِّ
صَرْخَةٍ، حَتَّى خَشِيَ كُلُّ الْأَعْدَاءِ مُوَاجَهَةَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ»،
فَانْسَحَبَتْ جُيُوشُهُمْ، وَهَرَبَتْ فُلُوكُهُمْ، وَنَعِمَتِ الْبِلَادُ بِالسَّلَامِ
بِفَضْلِ قُوَّةِ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ».

وَأَنعَمَ الْوَالِي عَلَى «سَعْفَان» بِالْهَدَايَا وَالْعَطَايَا، حَتَّى صَارَ
مِنَ الْأَغْنِيَاءِ بَعْدَ أَنْ كَانَ فَقِيرًا مَعْدَمًا، وَسَكَنَ قَصْرًا فَاخِرًا بَعْدَ أَنْ
كَانَ يَسْكُنُ الْأَكْوَاخَ، وَارْتَدَى مِنَ الْمَلَابِسِ أَغْلَاهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ
يَرْتَدِي الْأَسْمَالَ الْبَالِيَةَ.

وَمَرَّتْ سَنَوَاتٌ وَ«سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» مُعْتَكِفٌ فِي قَصْرِهِ، لَا
يَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ وَلَا يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «مَا حَاجَتِي
إِلَى النَّاسِ، لَقَدْ صَارَ لِي مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَالِ مَا أَسْتَغْنِي بِهِ عَنِ
النَّاسِ جَمِيعًا».

وَصَارَ يَنْفَقُ مِنْ عَطَايَا الْوَالِي، بِدُونِ أَنْ يُمَارِسَ أَيَّ عَمَلٍ
غَيْرِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ وَالْكَسَلِ، حَتَّى تَبَدَّدَ الْمَالُ، وَلَمْ

يَتَبَقُّ «لِسَعْفَانِ الْجَبَّارِ» غَيْرُ قَصْرِهِ . فَبَاعَهُ وَأَنْفَقَ ثَمَنَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ
مَعْدُودَةٍ ، وَلَمْ يَعُدْ يَمْتَلِكُ غَيْرَ مَلَابِسِهِ الثَّمِينَةِ ، فَبَاعَهَا أَيْضاً وَأَنْفَقَ
ثَمَنَهَا فِي سَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ ، وَعَادَ إِلَى آرْتِدَاءِ مَلَابِسِهِ الْقَدِيمَةِ مِنْ
جَدِيدٍ ، لِيَسْتَرِ بِهَا نَفْسَهُ ، وَهُوَ لَا يَكَادُ يَجِدُ مَا يَقْتَاتُ بِهِ مِنْ
طَعَامٍ . وَكَانَتِ الْفَتْرَةُ السَّابِقَةُ ، الَّتِي قَضَاهَا وَحِيداً مُتَبَطِّلاً فِي
قَصْرِهِ ، قَدْ غَيَّرَتْ تَفْكِيرَهُ وَأَصَابَتْهُ بِالْغُرُورِ وَالطُّيْشِ ، وَالْاِغْتِقَادِ
بَأَنَّهُ أَقْوَى وَأَعْظَمُ إِنْسَانٍ عَلَى الْأَرْضِ ، فَكَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :
«إِنِّي الْأَقْوَى ، إِنِّي الْأَعْظَمُ ، أَيْنَ هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ
يَتَحَدَّانِي وَيَهْزِمَنِي ، أَيْنَ هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي لَهُ قُوَّتِي ، إِنِّي
الْأَقْوَى ، إِنِّي الْأَعْظَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ » . وَيَخْرُجُ بَعْدَهَا يَزْعُقُ
فِي الطَّرِيقَاتِ وَالْأَسْوَاقِ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
الْعَجِيبَةِ مِنَ الْفَقْرِ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ مُتَعَجِّبِينَ حَائِرِينَ ، لِتَغْيِيرِ
حَالِهِ بِتِلْكَ الطَّرِيقَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَإِصَابَتِهِ بِالْغُرُورِ الشَّدِيدِ .

وَنَصَحَهُ بَعْضُ النَّاسِ قَائِلِينَ : «لِمَاذَا تَرْتَضِي هَذَا الْحَالَ
أَيُّهَا الْجَبَّارُ ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعْمَلَ فِي أَشْيَاءَ عَدِيدَةٍ ، حَدَّاداً أَوْ نَجَّاراً
أَوْ حَطَّاباً ، فَتَكْسِبَ مَالاً كَثِيراً بِفَضْلِ قُوَّتِكَ الْهَائِلَةِ ، بَدَلاً مِنْ
التَّبَطُّلِ وَالتَّعْطُلِ » .



وَلَكِنَّ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» صَاحَ فِيهِمْ غَاضِبًا: «إِذْهَبُوا عَنِّي
أَيْهَا الْأَغْبِيَاءُ، فَمَا حَاجَتِي إِلَى الْعَمَلِ وَأَنَا أَقْوَى النَّاسِ
وَأَعْظَمُهُمْ».

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْوَالِي بِمَا حَدَثَ «لِسَعْفَانَ»، اسْتَدْعَاهُ وَقَالَ
لَهُ: «أَنْتَ «سَعْفَانَ» أَشْجَعُ الشُّجْعَانِ وَأَقْوَى الرِّجَالِ، وَأَفْضَلُ
أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ أَيِّ فَارِسٍ أَوْ قَائِدٍ، فَلِمَاذَا لَا تَنْضُمُ إِلَى جَيْشِي مَرَّةً
أُخْرَى، فَتَصِيرَ فَارِسًا مِنْ فُرْسَانِي أَوْ قَائِدًا مِنْ قَوَادِي؟»

وَلَكِنَّ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» أَشَاحَ بِوَجْهِهِ وَقَالَ: «مَا لِي أَنَا
وَالْجُيُوشُ وَالْقِتَالُ، إِنِّي أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ الْفُرْسَانِ وَالْقَوَادِ. أَنَا
أَعْظَمُ وَأَقْوَى مِنْ كُلِّ النَّاسِ».

وَخَرَجَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» وَهُوَ يَصِيحُ بِأَنَّهُ أَقْوَى النَّاسِ
وَأَعْظَمُهُمْ، وَلَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَيًّا كَانَ، أَنْ يَهْزِمَهُ أَوْ يَقْهَرَهُ.

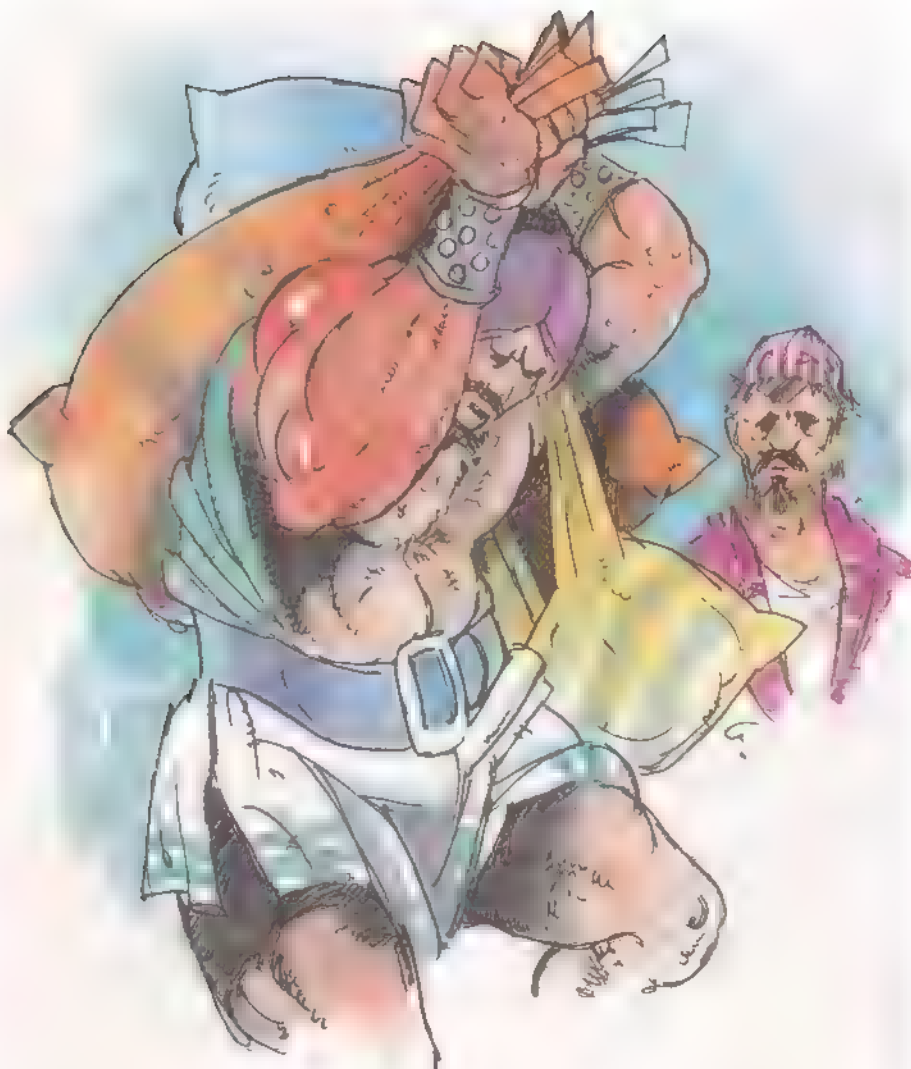
وَحَزِنَ الْوَالِي لِمَصِيرِ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» وَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ
الْغُرُورَ، لَا بُدَّ أَنَّ سَعْفَانَ الْجَبَّارَ قَدْ أَصَابَهُ الْغُرُورُ الشَّدِيدُ بِمَا
يُشَبِّهُ الْجُنُونَ». وَأَمَرَ رِجَالَهُ أَلَّا يَتَعَرَّضُوا لَهُ وَأَنْ يَدْعُوهُ لِحَالِ
سَبِيلِهِ، مَا دَامَ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْإِنْسَانِ بِشَرٍّ أَوْ أَدَى.

وَقَضَى «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» أَيَّاماً وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، ثُمَّ أَحْسَّ بِجُوعٍ شَدِيدٍ، لِأَنَّهُ بَقِيَ وَقْتاً طَوِيلًا بِلا طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ. وَصَاحَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» بِصَوْتٍ يَهْزُ الْجِبَالَ: «كَيْفَ يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ مِثْلِي أَنْ يَجُوعَ أَوْ يَعْطَشَ، وَهُوَ أَقْوَى وَأَعْظَمُ إِنْسَانٍ؟» وَاتَّجَهَ «سَعْفَانُ» إِلَى حَقْلٍ قَرِيبٍ، كَانَ مُلْكاً لِفَلَّاحٍ فَقِيرٍ، يَزْرَعُ أَرْضَهُ وَيَحْصُدُهَا بِكَدِّهِ لِيَحْصُلَ عَلَى خَيْرِهَا، قَمْحِهَا وَشَعِيرِهَا، فَيَعِيشَ عَلَيْهِ هُوَ وَأُسْرَتُهُ.

وَكَانَ الْفَلَّاحُ وَاقِفاً يَحْرِثُ أَرْضَهُ، وَثَوْرُهُ يَجْرُ مِحْرَاقَتَهُ، فَصَاحَ بِهِ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ»: «أَيُّهَا الْفَلَّاحُ، أَعْطِنِي مَا لَدَيْكَ مِنْ قَمْحٍ وَشَعِيرٍ، فَإِنِّي جَائِعٌ وَأُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ مِنَ الْقَمْحِ خُبْزاً وَمِنَ الشَّعِيرِ شَرَاباً».

قَالَ الْفَلَّاحُ: «إِنَّ قَمْحِي وَشَعِيرِي لَيْسَا لِلْبَيْعِ، فَهُمَا طَعَامِي وَطَعَامُ أَوْلَادِي».

غَضِبَ «سَعْفَانُ» وَقَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنَّنِي سَأَشْتَرِيهِمَا مِنْكَ أَيُّهَا الْفَلَّاحُ، مَنْ قَالَ إِنَّ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» عِنْدَمَا يُرِيدُ شَيْئاً يَدْفَعُ مُقَابِلًا لَهُ؟»



وضربَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» الفلاحَ الفقيرَ بيده، فسقطَ
الفلاحُ فوقَ الأرضِ، ولمَ يَجْرُؤْ أَيُّ إنسانٍ على مُساعدته، خوفاً
مِنْ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ».

وحَمَلَ «سَعْفَانِ» أجولةَ القَمْحِ والشَّعِيرِ، وكانتْ بِرَغْمِ
ثَقَلِهَا، خَفِيفَةً هَيِّنَةً فوقَ كَتْفَيْهِ.

وقَبْلَ أَنْ يَخْطُوَ «سَعْفَانِ» بِالْقَمْحِ والشَّعِيرِ بَعِيداً، خَارَ ثَوْرُ
الْفَلَّاحِ، وَقَدْ رَكِبَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ لِمَا أَصَابَ صَاحِبَهُ، وضربَ
الأَرْضَ بِقَوَائِمِهِ، وَأَنْدَفَعَ نَحْوَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» مُهَاجِماً كَأَنَّهُ
الرَّيْحُ أَوْ العَاصِفَةُ، وَقَرْنَاهُ مَشْرَعَانِ لِلْأَمَامِ، كَأَنَّهُمَا خِنْجَرَانِ أَوْ
سَيْفَانِ، لَوْ أَصَابَا إِنْسَاناً لَشَقَّا صَدْرَهُ وَقَتَلَاهُ فِي الْحَالِ.

وَلَكِنَّ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» أَوْقَفَ الثَّوْرَ الهَائِجَ وَصَدَّهُ بِذِرَاعِهِ
الْيُمْنَى، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِقَبْضَتِهِ الْيُسْرَى فَوْقَ رَأْسِهِ ضَرْبَةً هَائِلَةً،
فَاطَّاحَ بِقَرْنَيْهِ، وَسَقَطَ الثَّوْرُ قَتِيلاً فِي الْحَالِ.

وَذَهَبَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» بِالْقَمْحِ والشَّعِيرِ إِلَى كُوخِهِ
الْقَدِيمِ، فَصَنَعَ مِنْهُمَا خُبْزاً وَشَرَاباً عَاشَ عَلَيْهِمَا أَيَّاماً عَدِيدَةً.

وقال «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» لِنَفْسِهِ بَعْدَ وَقْتٍ: «لَقَدْ مَلَلْتُ مِنَ الْخُبْزِ وَالشَّعِيرِ، فَلَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ مِثْلِي أَنْ يَعْيشَ عَلَى الْخُبْزِ وَالشَّعِيرِ فَقَطْ».

وخرَجَ «سَعْفَانُ» مِنْ كُوْخِهِ وَكَانَتْ تَسْكُنُ قَرِيباً مِنْهُ أَرْمَلَةٌ مَاتَ زَوْجُهَا، وَتَرَكَ لَهَا عَدَدًا مِنَ الدَّجَاجَاتِ، كَانَتْ تَعِيشُ عَلَى بَيْضِهَا، فَتَبِيعُهُ وَتَشْتَرِي بِثَمَنِهِ طَعَاماً لَهَا وَلِدَجَاجِهَا.

قَالَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» لِلْأَرْمَلَةِ: «أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ، إِنِّي أُرِيدُ كُلَّ دَجَاجِكَ وَبَيْضِكَ».

أَجَابَتْهُ الْأَرْمَلَةُ: «لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَبِيعَ الدَّجَاجَ لَكَ أَمَّا الْبَيْضُ فَالْعَشْرَةُ مِنْهُ بِدِينَارٍ كَمَا أَبِيعُهُ فِي السُّوقِ».

غَضِبَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» وَقَالَ: «وَمَنْ أَخْبَرَكَ أَنِّي أُرِيدُ شِرَاءَ الدَّجَاجِ، أَوْ أَنِّي سَأَدْفَعُ فِي الْبَيْضِ دِينَاراً؟»

وَأَخَذَ يَجْمَعُ الْبَيْضَ فِي سَلَّةٍ كَبِيرَةٍ، وَالدَّجَاجَ فِي كَيْسٍ أَكْبَرَ، فَصَرَخَتِ الْمَرْأَةُ وَتَوَسَّلَتْ بِأَكِيَّةٍ، وَتَعَلَّقَتْ بِذِرَاعِ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ»، وَلَكِنَّهُ دَفَعَهَا عَنْهُ، فَسَقَطَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَكُسِرَتْ



ذِرَاعُهَا فَأَخَذَتْ تَتَجَبُّ وَتَلْطُمُ خَدَّيْهَا، بِدُونِ أَنْ يَجْرُؤَ إِنْسَانٌ عَلَى إِنْقَازِهَا خَوْفًا مِنْ «سَعْفَانَ الْجَبَّارِ».

وَكَانَ لِلْأَرْمَلَةِ دِيكَ كَبِيرٌ لَهُ مَنْقَارٌ حَادٌّ، فَأَنْدَفَعَ مُهَاجِمًا «سَعْفَانَ الْجَبَّارِ»، مُدَافِعًا عَنِ الْأَرْمَلَةِ، وَنَقَرَ الدَّيْكَ «سَعْفَانَ» فِي قَدَمَيْهِ، فَشَارَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارِ» وَأَصَابَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ، وَهَوَى بِقَبْضَتِهِ فَوْقَ رَأْسِ الدَّيْكَ فَحَطَّمَهَا فِي الْحَالِ.

وَحَمَلَ «سَعْفَانَ» سَلَّةَ الْبَيْضِ وَكَيْسَ الدَّجَاجِ، وَذَهَبَ بِهِمَا إِلَى كُوخِهِ، فَتَغَذَّى بِنِصْفَيْهِمَا وَتَعَشَّى بِالنِّصْفِ الْآخِرِ، حَتَّى إِذَا أَقْبَلَ الصَّبَاحُ لَمْ يَعْذُ مِنْهُمَا شَيْءٌ لَدَيْهِ.

وَعِنْدَ الظُّهْرِ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ مَطَرًا شَدِيدًا، وَبَرَدَ الْجَوُّ بَرْدًا شَدِيدًا، فَارْتَجَفَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارِ» مِنْ قَسْوَةِ الْبَرْدِ، وَصَاحَ بِصَوْتٍ شَدِيدٍ تَرَجُّ لُهُ الْجِبَالُ: «كَيْفَ يُمَكِّنُ لِمَنْ كَانَ مِثْلِي أَنْ يُعَانِيَ مِنَ الْبَرْدِ، وَهُوَ أَقْوَى وَأَعْظَمُ إِنْسَانٍ؟»

وَخَرَجَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارِ» يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يَتَدَفَّأُ بِهِ. وَكَانَتْ هُنَاكَ غَابَةُ قَرِيبَةً، يَعِيشُ فِيهَا حَطَّابٌ فَقِيرٌ، يَعْمَلُ فِي قَطْعِ أَشْجَارِهَا وَتَكْسِيرِهَا، ثُمَّ يَقُومُ بِنَقْلِ الْحَطَبِ إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ فَيَبِيعُهُ هُنَاكَ، وَيَعِيشُ هُوَ وَأَطْفَالُهُ مِنْ ثَمَنِهِ.

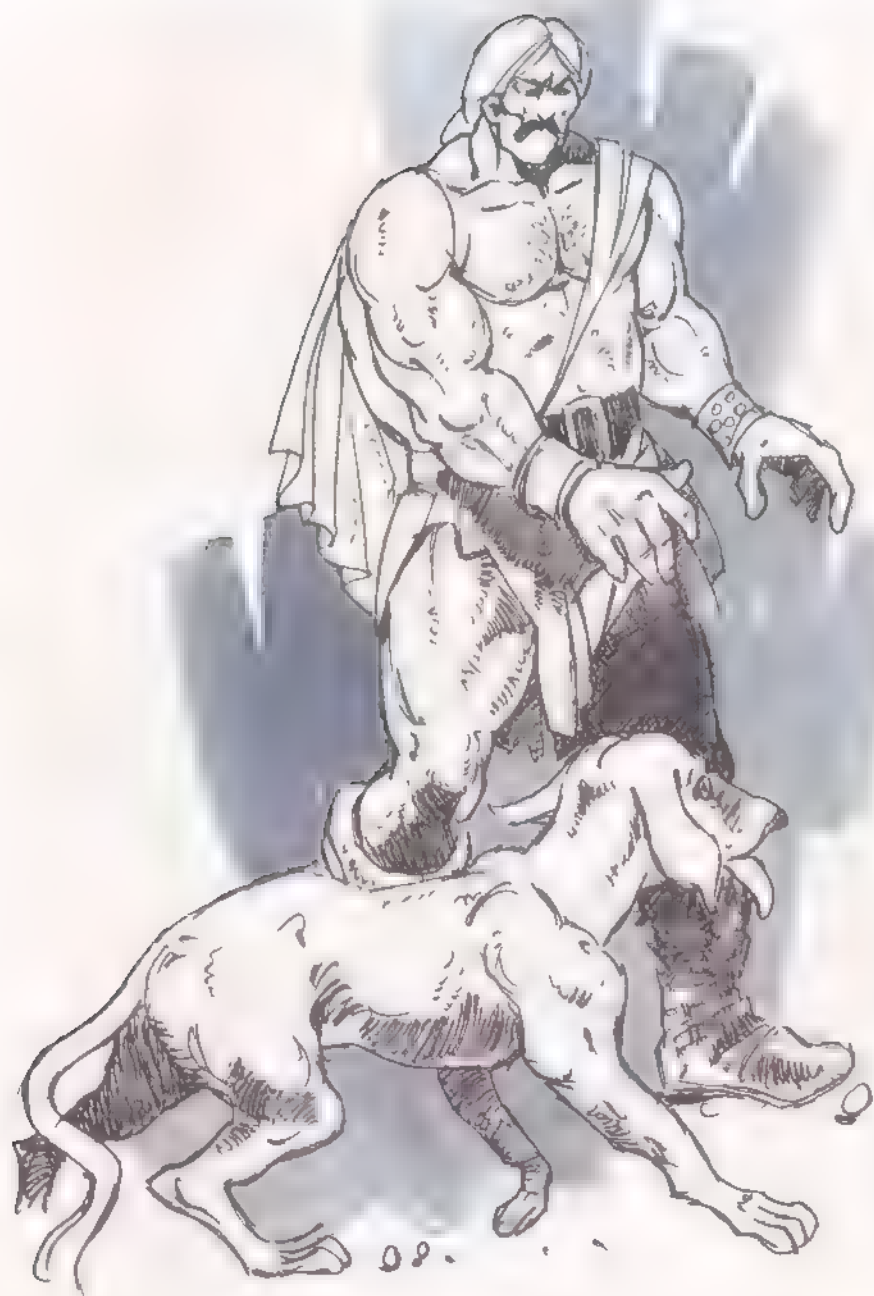
وكان الحطاب قد أنهى عمله، وجمع قدراً كبيراً من الحطب فوق عربته التي يجرها حماره وأستعد لنقله إلى السوق لبيعه.

قال «سَعْفَان الجبار» للحطاب: «أيها الرجل.. إنني أريد كل ما تحمله عربتك من حطب، حتى أتدفاً به».

أجاب الحطاب: «لن أطلب منك مالا كثيراً ثمناً للحطب أيها الرجل.. فقط ديناران اشتري بهما لأطفالي طعام العشاء». غَضِبَ «سَعْفَان الجبار» وقال: «ومن أخبرك أيها الحطاب أنني سأدفع مالا ثمناً لحطبك؟»

ولطم «سَعْفَان الجبار» الحطاب الفقير لظمة قوية، فسقط الحطاب فوق الأرض غائياً عن وعيه والدم يسيل من فمه وأنفه. وحمل «سَعْفَان» الحطب فوق كتفه، وأتجه به إلى كوخه، بدون أن يجرؤ أي إنسان على اعتراضه، أو مساعدة الحطاب الفقير.

وكان للحطاب كلب صغير، عندما شاهد ما حل بصاحبه، نبَحَ نباحاً عالياً، وأندفع غاضباً نحو «سَعْفَان الجبار» وعضَّه في قدمه.



وَأَغْتَاطَ «سَعْفَان» بِشِدَّةٍ وَصَاحَ : «أَيُّهَا الْكَلْبُ الْمَلْعُونُ . .
سَوْفَ أَقْتُلُكَ فِي الْحَالِ» .

وَرَكَلَ الْكَلْبُ بِقَدَمِهِ فِي غَضَبٍ ، فَصَرَغَهُ فِي الْحَالِ ،
كَأَنَّمَا سَقَطَ جَبَلٌ فَوْقَهُ . وَذَهَبَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» بِالْحَطْبِ إِلَى
كُوخِهِ ، فَأَوْقَدَ فِيهِ النَّارَ ، وَجَلَسَ يَسْتَدْفِيءُ بِهِ وَهُوَ يَضْحَكُ
مَسْرُورًا ، وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : «إِنِّي الْأَقْوَى . . إِنِّي الْأَعْظَمُ . .
أَيُّنَ هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يُمَكِّنُهُ إِيْقَافِي أَوْ أَعْتِرَاضِي أَوْ مَنَعِي مِمَّا
أُرِيدُ . . مِنْ الْغَدِ سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ فَأَنْهَبُهَا
وَأُخْرِبُهَا ، وَأَحْصِلُ عَلَى كُلِّ مَا أَشْتَهِي وَأَرْغَبُ بِدُونِ أَنْ أَعْمَلَ أَوْ
أَكْسِبَ مَالًا ، وَإِذَا حَاولَ أَيُّ إِنْسَانٍ أَعْتِرَاضِي ، فَسَوْفَ يَكُونُ
مَصِيرُهُ الْمَوْتُ» .

وَضَحِكَ ضِحْكَةً عَالِيَةً ، أَقْوَى مِنْ الْعَاصِفَةِ الْعَالِيَةِ ،
فَاهْتَزَّتْ لَهَا الْجُدُرَانُ وَالْأَرْكَانُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

* * *

وَعِنْدَمَا عَرَفَ الْوَالِي بِمَا قَامَ بِهِ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» ، أُعْطِيَ
الْفَلَاحَ الْفَقِيرَ ثَمَنَ قَمْحِهِ وَشَعِيرِهِ وَثَوْرِهِ الْقَتِيلِ ، وَلِلْأَرْمَلَةِ ثَمَنَ

دَجَاجِهَا وَيَبِيضِهَا، وَلِلْحَطَّابِ ثَمَنَ حَطِيهِ، حَتَّى يُعَوِّضَهُمْ عَمَّا
أَسْتَوَلَى عَلَيْهِ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» مِنْهُمْ.

وَقَالَ الْوَالِي لِجُنُودِهِ: «سَوْفَ أُسَامِحُ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» هَذِهِ
الْمَرَّةَ عَمَّا فَعَلَهُ، تَقْدِيرًا لِمَا قَامَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ عَظِيمَةٍ فِي
السَّابِقِ. أَمَّا إِذَا كَرَّرَ فِعْلَتَهُ، أَوْ حَاوَلَ إِيْذَاءَ النَّاسِ، أَوْ الْاِسْتِيلَاءَ
عَلَى أَشْيَائِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ وَسَجْنِهِ، حَتَّى يَتَّعِظَ كُلُّ
إِنْسَانٍ، وَيَعْرِفَ أَنَّهُ مَهْمَا كَانَ عَظِيمًا أَوْ قَوِيًّا، فَالْحَقُّ أَقْوَى مِنْهُ».

فَانْصَرَفَ الْجُنُودُ لِمُرَاقَبَةِ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ»، وَتَنْفِيزِ أَوْامِرِ
الْوَالِي فِي الْحَالِ.

وَأَسْتَيْقِظَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ، وَهُوَ يَشْعُرُ أَنَّهُ
قَدْ آزَدَادَ قُوَّةً، وَصَارَ أَعْظَمَ مِمَّا كَانَ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَوَقَفَ فِي
الْخَلَاءِ، وَصَاحَ فِي النَّاسِ: «أَيُّهَا النَّاسُ... هَلْ يُوجَدُ بَيْنَكُمْ مَنْ
هُوَ أَقْوَى مِنِّي... هَلْ بَيْنَكُمْ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنِّي؟»

وَلَمْ يُجَاوِبْهُ أَيُّ إِنْسَانٍ خَوْفًا مِنْهُ، فَضَحِكَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ»
ضَحْكَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْجِبَالُ، وَسَارَ يَدِبُّ فَوْقَ الْأَرْضِ فِي
خِيَلٍ، وَهُوَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ أَعْظَمَ وَأَقْوَى إِنْسَانٍ فَوْقَ الْأَرْضِ.

وَذَهَبَ «سَعْفَان» إِلَى السُّوقِ وَكَانَ مُمْتَلِكًا بِالنَّاسِ : بَاعَهُ
جَاؤُوا يَبِيعُونَ مُتَّجَاتِهِمْ ، مِنْ لَبَنٍ وَجُبْنٍ وَبَيْضٍ وَلَحْمٍ
وَخَضِرَاوَاتٍ وَفَاكِهَةٍ وَأَقْمِشَةٍ ، وَمُشْتَرُونَ جَاؤُوا يَشْتَرُونَ مَا
يَحْتَاجُونَهُ .

وَعِنْدَمَا دَخَلَ «سَعْفَان» إِلَى السُّوقِ ، إِرْتَعَبَ النَّاسُ
وَخَافُوا ، لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا مِنْ قَبْلُ عَمَّا قَامَ بِهِ مِنْ أَعْمَالٍ ، وَخَشُوا
مِنَ التَّعَرُّضِ لَهُ ، فَأَنْقَضَ «سَعْفَان» عَلَى بِضَاعَةِ الْبَائِعِينَ ،
وَجَمَعَهَا فِي زَكِيَّةٍ كَبِيرَةٍ ، وَمَنْ حَاوَلَ مَنَعَهُ ، كَانَ نَصِيْبُهُ لَطْمَةٍ أَوْ
ضَرْبَةٍ ، تَشْجُ رَأْسَهُ أَوْ تَكْسِرُ ذِرَاعَهُ .

وَعِنْدَمَا عَرَفَ جُنُودُ الْوَالِي بِمَا قَامَ بِهِ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» ،
وَكَيْفَ أَخَافَ النَّاسَ وَضَرَبَهُمْ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى بَضَائِعِهِمْ
وَحَوَائِجِهِمْ ، إِنْدَفَعُوا نَحْوَهُ فَوْقَ جَيَادِهِمْ شَاهِرِينَ سُيُوفَهُمْ ،
وَأَنْقَضُوا عَلَيْهِ يُرِيدُونَ أَسْرَهُ وَالْقَبْضَ عَلَيْهِ . لَكِنْ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ»
صَاحَ فِيهِمْ صَيْحَةً عَظِيمَةً ، فَجَفَلَتْ خِيُولُهُمْ ، وَأَضْطَرَبَ
نِظَامُهُمْ ، وَسَقَطُوا مِنْ فَوْقِ سُرُوجِهِمْ ، وَتَبَعَثَ شَمْلَهُمْ .



وَأَنْقَضَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» عَلَى الْجُنُودِ، فَأَخَذَ يَلْطِمُهُمْ وَيَضْرِبُهُمْ، فَمَنْ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ تَحَطَّمَتْ ذِرَاعُهُ، وَمَنْ نَالَتْهُ لَطْمَةٌ شَجَّتْ رَأْسَهُ أَوْ أَطَارَتْ أَسْنَانُهُ.

وَأَخَذَ عَدَدُ جُنُودِ الْوَالِي حَوْلَ «سَعْفَانٍ» يَتَكَاثَرُ وَيَتَكَاثَرُ، وَهُمْ يُحِيطُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَيَشْنُونَ عَلَيْهِ حَرْباً بِكُلِّ الْأَسْلِحَةِ، وَلَكِنْ شَمَلَهُمْ تَبَدَّدَ، وَنِظَامُهُمْ آخَلَ، وَوَهَنْتْ قُوَّتُهُمْ، وَهُمْ يُوَاجِهُونَ وَخْشاً لَا طَاقَةَ لِلْإِنْسَانِ بِمُصَارَعَتِهِ وَهَزِيمَتِهِ.

وَأَنْتَهتِ الْمَعْرَكَةُ بِهَزِيمَةِ جُنُودِ الْوَالِي، فَانْسَحَبُوا وَقَدْ نَالَهُمْ مِنَ الضَّرْبِ وَالْإِصَابَاتِ الْكَثِيرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ فَقَدَ ذِرَاعاً أَوْ سَاقاً، أَوْ شَقَّ صَدْرَهُ وَتَحَطَّمَتْ فُكُّهُ.

أَمَّا «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» فَلَمْ يُصَبَّ بِخَدَشٍ، أَوْ تَلْحَقَ بِهِ أَيُّ إِصَابَةٍ. وَوَقَفَ سَعِيداً مُخْتِلاً بِمَا جَرَى، وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ كَأَنَّهُ الرَّعْدُ: «مَنْ يُمَكِّنُهُ مُوَاجَهَتِي . . مَنْ يُمَكِّنُهُ هَزِيمَتِي أَوْ مَنْعِي مِنْ أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ . . إِنَّنِي الْأَقْوَى، إِنَّنِي الْأَعْظَمُ».

فَهَرَبَ النَّاسُ مِنْ وَجْهِهِ يَبْتَغُونَ السَّلَامَةَ، وَحَمَلَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» كُلَّ مَا اسْتَطَاعَ حَمْلَهُ مِنَ السُّوقِ، طَعَاماً وَشَرَاباً وَفَاكِهَةً،

وملابِسَ وأكْسِيَّةً وحُلِيًّا، وكُلُّ ما يُمكنُ أَنْ يُباعَ أو يُشترى، فنقلَهُ
إِلَى كُوْجِه، وكَدَّسَهُ فِيهِ، وعَزَمَ عَلَى أَنْ يَخْرَجَ لِلسُّوقِ كُلِّ يَوْمٍ
فِيَجْمَعَ كُلَّ ما فِيهِ، وَيَحْضُلَ عَلَيْهِ بِلا مالٍ أو جُهدٍ.

وعِنْدَما عَلِمَ الوالِي بِما جَرى لِجُنُودِهِ، وَكَيْفَ تَغَلَّبَ
عَلَيْهِمْ «سُفَّان الجَبَّار»، حَزَنَ حُزْناً شَدِيداً، وَقَالَ لِنَفْسِهِ
مُتَحَيِّراً: «وما العَمَلُ الآنَ؟ وَكَيْفَ يُمكنُ إيقافُ «سُفَّان الجَبَّار»
عَمَّا يَقُومُ بِهِ مِنْ أَعْمالٍ، وَمُعاقبَتُهُ جَزاءً لَهُ لا عِتْدائِهِ عَلَى
جُنُودِي، وَسَلْبِهِ بَضائِعِ النَّاسِ وَمُمتلكاتِهِمْ؟»

وَنَكَسَ رَأْسَهُ حَزِيناً، لَأَنَّهُ كانَ يَعرِفُ، أَنَّ أَيَّ إنسانٍ مَهْما
كانَ، لا يُمكنُهُ هَزِيمَةُ «سُفَّان الجَبَّار» وَلَوْ كانتَ لَهُ قُوَّةُ أَلْفِ
رَجُلٍ.

* * *

واصَلَ «سُفَّان الجَبَّار» أَعْمالَهُ الشَّرِيرةَ، وزادَ غُرُورَهُ
وعَظَمَ جَبْرُوتَهُ، فَكانَ يَنْهَبُ المَحالَّ وَيَسْرِقُ البُيُوتَ، وَيَعْتَدِي
عَلَى كُلِّ النَّاسِ الأَمِينِ، ولا يَجْرؤُ إنسانٌ عَلَى مُواجَهَتِهِ أو
مَنْعِهِ، حَتَّى جُنُودُ الوالِي.

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ «سَعْفَان» رَاجِعاً مِنَ السُّوقِ، بَعْدَ أَنْ دَمَّرَهُ
وَحَرْبُهُ، وَاسْتَوَلَى عَلَى مَا فِيهِ، وَحَمَلَهُ فَوْقَ كَتِفِهِ، بِدُونِ أَنْ يَدْفَعَ
ثَمَنَهُ لِلْإِنْسَانِ.. . وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى كُوخِهِ صَادَفَ فَتَاةً صَغِيرَةً
رَقِيقَةً تَرْتَدِي مَلَابِسَ يَبِضَاءَ نَاصِعَةً، كَأَنَّ الضَّوْءَ يَشُعُّ مِنْهَا،
وَوَجْهَهَا مُنِيرٌ، كَأَنَّهُ الْبَدْرُ أَوْ الْقَمَرُ، وَلَا يَزِيدُ عُمْرُهَا عَنْ تِسْعَةِ أَوْ
عَشْرَةِ أَغْوَامٍ، وَكَانَتْ تَسُوقُ أَمَامَهَا عَنزَةً صَغِيرَةً لَطِيفَةً، تَمْتَلِئُ
ضُرُوعُهَا بِاللَّبَنِ.. .

قَالَ «سَعْفَان» فِي نَفْسِهِ: «مَا أَجْمَلَ أَنْ يَكُونَ لِي مِثْلُ هَذِهِ
العَنزَةِ، فَأَشْرَبُ لَبَنَهَا كُلَّ مَسَاءٍ، فَإِنَّهَا كَفِيلَةٌ بِأَنْ تَزِيدَ قُوَّتِي،
وَتُدِيمَ صِحَّتِي».

وَأَقْتَرَبَ مِنَ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ صَاحِبَةُ الْعَنزَةِ وَقَالَ لَهَا: «أَيْتُهَا
الْفَتَاةُ، سَوْفَ آخُذُ عَنزَتِكَ، وَلَا تُطَالِبِينِي بِثَمَنِ لَهَا، فَإِنَّ «سَعْفَانَ
الْجَبَّارَ» لَا يَدْفَعُ مَالاً لِمَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ».

وَأَخْطَفَ حَبْلَ الْعَنزَةِ مِنَ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ، فَقَالَتْ لَهُ
مُتَوَسِّلَةً: «أَرْجُوكَ يَا سَيِّدِي أَنْ تَتْرَكَهَا لِي، فَهَذِهِ الْعَنزَةُ هِيَ
رَفِيقَتِي وَصَدِيقَتِي بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّي وَأَبِي، وَهِيَ الَّتِي تُطْعِمُنِي



وَتَسْقِينِي مِنْ لَبَنِهَا، وَيُدُونَهَا لَا يَكُونُ لِي أَنِيسٌ، وَأَمُوتُ جُوعاً
وَعَطْشاً».

وَلَكِنْ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» لَمْ يَسْتَمِعْ لِتَوْسُلِ الطُّفْلَةِ الْيَتِيمَةِ،
لَأَنَّهُ كَانَ قَاسِي الْقَلْبِ، فَدَفَعَ صَاحِبَةَ الْعَنْزَةِ بِغِلَظَةٍ وَأَسْقَطَهَا
عَلَى الْأَرْضِ، وَصَاحَ فِيهَا: «هَيَّا أَتَبْعِدِي أَيُّهَا الصَّغِيرَةُ، وَالْأَ
ضْرَبْتُكَ ضَرْبَةً تَقْضِي عَلَيْكَ فِي الْحَالِ».

وَسَاقَ «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ» الْعَنْزَةَ أَمَامَهُ، ثُمَّ تَلَفَّتْ خَلْفَهُ فَلَمْ
يُشَاهِدِ الطُّفْلَةَ الصَّغِيرَةَ الْيَتِيمَةَ كَأَنَّمَا أَنْشَقَّتِ الْأَرْضُ وَأَبْتَلَعَتْهَا،
أَوْ طَارَتْ فِي الْهَوَاءِ، فَتَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: «أَيْنَ أَخْتَفَتْ هَذِهِ
الْفَتَاةُ؟»

وَلَمْ يَهْتَمُّ بِمَا جَرَى، وَسَاقَ الْعَنْزَةَ إِلَى كُوخِهِ وَالْأَسْلَابُ
الْكَثِيرَةُ فَوْقَ كَتِفِهِ، وَعِنْدَمَا وَصَلَهُ إِسْتِرَاحَ بِدَاخِلِهِ، ثُمَّ أَتَى بِنَاءً
كَبِيرَ حِلْبٍ فِيهِ ضَرْعُ الْعَنْزَةِ، وَشَرِبَ لَبَنُهَا الشَّهِيَّ، ثُمَّ تَمَدَّدَ فَوْقَ
فِرَاشِهِ وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «سَوْفَ أَنَامُ إِلَى الصَّبَاحِ، وَعِنْدَمَا أُسْتَيْقِظُ
سَأَذْهَبُ إِلَى الْوَالِي ذَاتِهِ، فَاسْتَوْلِي عَلَى قَصْرِهِ، وَأَسْرِقَ جَوَاهِرَهُ
وَمَالَهُ، وَإِذَا مَنَعَنِي جُنُودُهُ وَفُرْسَانُهُ، صَرَغْتُهُمْ بِلَا رَحْمَةٍ.. فَمُنْذُ

هَذِهِ اللَّحْظَةُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَدَيَّ مَالٌ كَثِيرٌ وَجَوَاهِرٌ عَدِيدَةٌ،
وَقُصُورٌ لَا مِثْلَ لَهَا، لِأَنَّنِي أَقْوَى وَأَعْظَمُ إِنْسَانٍ.

وَنَامَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» فِي الْحَالِ . . وَأَسْتَيْقَظُ فِي
الصَّبَاحِ . . وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي كُؤُوسِهِ كَمَا تَرَكَهُ فِي الْمَسَاءِ . .
الْعِزَّةُ الَّتِي أَتْرَعَهَا مِنْ صَاحِبَتَيْهَا، وَالْأَطْعِمَةُ وَالْمَلَابِيسُ . . كُلُّ
شَيْءٍ كَانَ فِي مَكَانِهِ، غَيْرَ أَنَّ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» لَاحَظَ شَيْئاً
عَجِيباً . . عَجِيباً جِدّاً.

كَانَ طَوْلُهُ قَدْ قَصُرَ إِلَى النُّصْفِ . . فَمِنْ قَبْلِ كَانَ طَوْلُهُ
يَزِيدُ عَلَى الْمِثْرَيْنِ، فَمَا الَّذِي جَعَلَهُ يَقْصُرُ بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
الْعَجِيبَةِ، فَيَصِيرُ طَوْلُهُ مِثْراً وَاحِداً؟

وَقَفَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» أَمَامَ الْمِرَاةِ الْكَبِيرَةِ فِي كُؤُوسِهِ
ذَاهِلاً، وَتَأَكَّدَ أَنَّ طَوْلَهُ قَدْ قَصُرَ إِلَى النُّصْفِ بِالْفِعْلِ فَظَنَّ نَفْسَهُ
نَائِماً يَحْلُمُ، وَقَرَصَ ذِرَاعَهُ حَتَّى يَتَأَكَّدَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُلْمٍ فَتَأَلَّمَ
مِنْ شِدَّةِ الْقَرَصَةِ، وَعَرَفَ أَنَّهُ مُسْتَيْقِظٌ وَلَيْسَ نَائِماً.

قَالَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» ذَاهِلاً: «مَاذَا جَرَى لِي، مَاذَا حَدَثَ
لِي، وَكَيْفَ قَصُرَ طَوْلِي بِمِثْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الْعَجِيبَةِ، هَلْ
سَحَرْتَنِي سَاحِرَةٌ، أَمْ آذَنِي جَنِيَّةٌ شَرِيرَةٌ؟»

وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ سَمِعَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» وَقَعَ حَوَافِرِ
خَيْلِ جُنُودِ الْوَالِي، وَصَلِيلَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَصِيَا حَهُمُ الْغَاضِبَ وَقَدْ
جَاؤُوا لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ.

نَسِيَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» مَا جَرَى لَهُ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «هَؤُلَاءِ
الْأَغْيَاءُ.. سَوْفَ أَلْقَنُهُمْ دَرْسًا حَتَّى لَا يَأْتُوا لِلْقَبْضِ عَلَيَّ مَرَّةً
أُخْرَى».

وَأَنْدَفَعَ خَارِجًا، فَشَاهَدَ جُنُودَ الْوَالِي يُحِيطُونَ بِهِ مِنْ كُلِّ
أَتَجَاهٍ، فَصَرَخَ فِيهِمْ صَرْخَةً عَظِيمَةً، كَانَتْ تُشْتَتُ صُفُوفَهُمْ مِنْ
قَبْلِ، وَتَجْعَلُ خِيُولَهُمْ تَفَرُّ هَارِبَةً مَذْعُورَةً.. وَلَكِنْ مَاذَا جَرَى هَذِهِ
الْمَرَّةَ، وَلِمَاذَا لَمْ يَرْتَعِبِ الْجُنُودُ وَتَضْطَرِبَ صُفُوفُهُمْ، وَلِمَاذَا لَمْ
تَخْشَهُ خِيُولُهُمْ وَتَبْتَدِّدَ نِظَامُهَا؟

وَقَبْلَ أَنْ يُفِيْقَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» مِنْ دَهْشَتِهِ، انْقَضَ عَلَيْهِ
جُنُودُ الْوَالِي بِكُلِّ أَسْلِحَتِهِمْ وَحَاصَرُوهُ مِنْ كُلِّ الْأَرْكَانِ، وَدَافَعَ
«سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» عَنْ نَفْسِهِ، فَرَاخَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَالْيَسَارِ، ضَرْبَاتٍ هَائِلَةً، وَيَرْكُلُ بِقَدَمَيْهِ هُنَا وَهُنَاكَ، رَكَاتٍ
شَدِيدَةً، وَلَكِنْ مَاذَا جَرَى..؟ وَلِمَاذَا لَمْ تَعُدْ ضَرْبَاتُهُ تَصْرَعُ مَنْ

تُصِيبُهُ، وَلِمَاذَا لَمْ تَعُدْ رَكَائِلَهُ تَقْتُلُ مَنْ تَصِلُ إِلَيْهِ . . . كَمَا كَانَ
يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ؟

وَأَرْتَعَبَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ، وَرَكِبَ
الْخَوْفُ قَلْبَهُ، وَعَرِفَ أَنَّهُ لَوْ بَقِيَ طَوِيلًا فَسَوْفَ يَهْزِمُهُ جُنُودُ الْوَالِي
وَيَأْسِرُونَهُ، فَيَسْجِنُونَهُ أَوْ يَشْنِقُونَهُ جَزَاءً لَهُ عَمَّا فَعَلَهُ مِنْ قَبْلُ، وَآثَرَ
الْهَرَبَ عَنْ وَجُوهِهِمْ. فَأَنْدَفَعَ يَجْرِي بِكُلِّ سُرْعَتِهِ، وَالْجُنُودُ
يُطَارِدُونَهُ حَتَّى صَادَفَ مُنْحَدَرًا صَعْبًا، حَاوَلَ هُبُوطَهُ لِلْهَرَبِ مِنْ
جُنُودِ الْوَالِي، وَلَكِنْ قَدَمَهُ زَلَّتْ، فَسَقَطَ مُتَذَخِرًا إِلَى أَسْفَلِ،
وَأَرْتَطَمَ بِالصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ، فَشَجَّتْ رَأْسَهُ وَأَذَمَّتْ يَدَيْهِ،
وَحَدَشَتْ سَاقَيْهِ وَجَرَحَتْ قَدَمَيْهِ.

وَعِنْدَمَا شَاهَدَهُ جُنُودُ الْوَالِي يَهْوِي لِأَسْفَلِ قَالُوا: «لَا بُدَّ أَنْ
«سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» قَدْ مَاتَ، هَذَا جَزَاءُ كُلِّ شَرِيرٍ يَسْلُبُ النَّاسَ
أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلاكَهُمْ».

وَعَادُوا إِلَى الْوَالِي يُنَبِّئُونَهُ بِمَا جَرَى «لِسَعْفَانَ الْجَبَّارِ»،
وَهُمْ لَا يُخْفُونَ دَهْشَتَهُمُ الشَّدِيدَةَ بِسَبَبِ قِصَرِ طَوِيلِهِ الْعَجِيبِ،
وَضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَحَمَدُوا اللَّهَ أَنَّهُمْ تَمَكَّنُوا مِنْ هَزِيمَتِهِ فِي النِّهَايَةِ
وِإِرَاحَةِ النَّاسِ مِنْ شَرِّهِ وَبَغْيِهِ.



وَلَكِنَّ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» لَمْ يَمُتْ مِنْ سَقَطَتِهِ، وَتَحَامَلَ عَلَى
نَفْسِهِ وَنَهَضَ مُتَأَلِّمًا، وَمَشَى مُتَعَثِّرًا إِلَى كُوَحِهِ، فَشَاهَدَهُ خَالِيًا مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مِنَ الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ، بَعْدَ أَنْ أَسْتَوَلَى جُنُودُ الْوَالِي
عَلَى مَا كَانَ بِهِ، لِيَرُدُّوهَ لِأَصْحَابِهِ.

قَالَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» لِنَفْسِهِ: «يَجِبُ أَنْ أُسْتَرِيحَ حَتَّى
أُسْتَعِيدَ قُوَّتِي مَرَّةً أُخْرَى فَاتَّيَمَّكُنْ مِنْ هَزِيمَةِ الْوَالِي وَجُنُودِهِ،
وَأَسْتِعَادَةَ مَا أَخَذُوهُ مِنِّي . . . وَلَا بُدَّ أَنْي إِذَا نِمْتُ نَوْمًا عَمِيقًا،
أُسْتَرِدَّدْتُ قُوَّتِي، وَعَادَ طُولِي كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ».

وَشَرِبَ مِنْ لَبَنِ الْعَنْزَةِ مَا مَلَأَ بَطْنَهُ، ثُمَّ نَامَ فِي الْحَالِ،
وَهُوَ يَشْعُرُ بِالْإِجْهَادِ.

وَأَسْتَيْقَظَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي . .
وَلَكِنَّ عَجَبًا، مَاذَا جَرَى لَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا؟

كَانَ طَوْلُهُ قَدْ قَصُرَ إِلَى النُّصْفِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَصَارَ لَا يَزِيدُ
عَلَى نِصْفِ مِثْرٍ، فَارْتَعَبَ «سَعْفَانُ» وَصَرَخَ مَفْزُوعًا: «مَاذَا جَرَى
لِي، وَلِمَاذَا نَقَصَ طُولِي مَرَّةً أُخْرَى بِمِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ
الْعَجِيبَةِ؟»

وفي نفس اللحظة سَمِعَ صَوْتَ خُوارٍ شَدِيدٍ، وأنفاثاً
لاِهْتَةً تأتي من خارج كُوخِهِ، فخرجَ يَسْتَطْلِعُ سِرَّ الخُوارِ
واللُّهَاتِ فَشَاهَدَ ثُوراً رَهيباً، يَنْظُرُ لَهُ بِعَيْنَيْنِ نارِيَّتَيْنِ وَهُوَ يُوشِكُ
أَنْ يَنْقُضَ عَلَيْهِ، فَارْتَعَبَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارِ» وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «إِنَّ هَذَا
الثَّورَ يُشَبِّهُ ثُورَ الْفَلَّاحِ الَّذِي اسْتَوْلَيْتُ عَلَى قَمَحِهِ وَشَعِيرِهِ،
وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ جَاءَ لِلثَّارِ مِنِّي، وَلَكِنْ عَجَباً، كَيْفَ عَادَ الثَّورُ إِلَى
الْحَيَاةِ، بَعْدَ أَنْ صَرَغَتْهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدَمَا ضَرَبْتُهُ فَوْقَ رَأْسِهِ
وَحَطَّمْتُ قَرْنَيْهِ؟»

وفي هذه اللحظة انْقَضَ الثَّورُ عَلَى «سَعْفَانِ الْجَبَّارِ»،
وَلَكِنْ «سَعْفَانُ»، الَّذِي لَمْ يَعْذُ جَبَّاراً كَمَا كَانَ، هَرَبَ مَفْزُوعاً
مِنْ أَمَامِ الثَّورِ، وَأَخَذَ يَجْرِي وَيَجْرِي، وَالثَّورُ يُطَارِدُهُ مِنْ
الْخَلْفِ، وَقَرْنَاهُ مُشْرَعَانِ لِلْأَمَامِ، يَكَادَانِ يَلْمَسَانِ ظَهَرَ
«سَعْفَانِ»، وَهُوَ يَصْعَدُ تَلَّةً عَالِيَةً هَرَباً مِنْهُ.

وَلَكِنْ الثَّورَ نَطَحَ «سَعْفَانُ» نَطْحَةً قَوِيَّةً أَطَارَتْهُ فِي الْهَوَاءِ،
فَسَقَطَ أَسْفَلَ التَّلَّةِ مُتَدَحْرِجاً، وَهُوَ يَحْسُ أَنَّ كُلَّ عَظْمَةٍ فِي
جَسَدِهِ قَدْ تَحَطَّمتْ.



وظَنَّ الثَّورُ أَنَّهُ قَتَلَ «سَعْفَانَ»، فَأَنْصَرَفَ مُبْتَعِداً وَهُوَ يَخُورُ
بِقُوَّةٍ. وَتَحَامَلَ «سَعْفَانٌ» عَلَى نَفْسِهِ وَنَهَضَ مُتَأَلِّمًا، وَسَارَ مُتَعَثِّرًا،
وَهُوَ يَشْعُرُ أَنَّ كُلَّ جُزْءٍ فِي جَسَدِهِ يُؤْلِمُهُ، كَمَا لَوْ كَانَ قَرْنَا الثَّورِ
قَدْ اخْتَرَقَا جَسَدَهُ بِالْفِعْلِ.

وَقَالَ «سَعْفَانٌ» لِنَفْسِهِ حَزِينًا: «لَوْ لَمْ أَقْتُلِ الثَّورَ مِنْ قَبْلُ
وَأَوْذِيَ صَاحِبَهُ وَأَشَجَّ رَأْسَهُ مَا طَارَدَنِي ثَوْرُهُ وَأَصَابَنِي، وَلَكَانَ
رَحُومًا بِي».

وَأَخَذَ يَسِيرُ بِجُهْدٍ بَالِغٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى كُوْحِهِ، وَقَدْ بَدَتْ
لَهُ الْأَشْيَاءُ ضَخْمَةً عَمَلَاقَةً حَوْلَهُ، الْأَشْجَارُ وَالْمَنَازِلُ وَالْأَحْجَارُ،
بَعْدَ أَنْ قَصُرَ طَوْلُهُ، وَصَارَ لَا يَزِيدُ عَنْ قَامَةِ طِفْلِ صَغِيرٍ.

وَصَلَ «سَعْفَانٌ» إِلَى كُوْحِهِ، وَكَانَ الثَّورُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ
فَنَطَحَ جُدْرَانَهُ بِقَرْنَيْهِ وَحَطَّمَهُ وَأَحَالَهُ إِلَى كَوْمَةٍ مِنَ الْأَخْشَابِ،
فَحَزِنَ «سَعْفَانٌ» وَأَفْتَرَشَ الْعَرَاءِ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ
أَسْتَرِيحَ جَيِّدًا، حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظْتُ فِي الْغَدِ اسْتَعِدْتُ قُوَّتِي،
فَأُقَاتِلُ جُنُودَ الْوَالِي، وَأُضْرَعَ ذَلِكَ الثَّورُ».

وَتَذَكَّرُ الْعُنْزَةَ، وَكَانَتْ وَاقِفَةً بِجَوَارِهِ لَا يَزِيدُ طَوْلُهُ عَنِ
أَرْتِفَاعِهَا، فَشَرِبَ لَبَنَهَا حَتَّى يَسْتَعِيدَ قُوَّتَهُ، ثُمَّ رَاحَ فِي نَوْمٍ
عَمِيقٍ.

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ «سَعْفَان» كَانَ أَكْثَرُ مَا يَخْشَاهُ أَنْ يَكُونَ
طَوْلُهُ قَدْ نَقَصَ عَمَّا قَبْلُ، وَلَكِنْ هَذَا هُوَ مَا حَدَثَ بِالْفِعْلِ، فَقَدْ
وَجَدَ نَفْسَهُ وَقَدْ صَارَ صَغِيرًا صَغِيرًا.. لَا يَزِيدُ طَوْلُهُ عَلَى نَصْفِ
نَصْفِ الْمِثْرِ.. فَقَدْ أَصْبَحَ طَوْلُهُ رُبْعَ مِثْرٍ.

صَرَخَ «سَعْفَان» مَفْزُوعًا: «مَاذَا جَرَى، وَكَيْفَ نَقَصَ طَوْلِي
هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضًا؟»

وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ سَمِعَ «سَعْفَان» مِنْ بَعِيدٍ صَوْتَ نُبَاحٍ
عَالٍ، وَأُطْلِيَ بِرَأْسِهِ فَشَاهَدَ كَلْبًا ضَخْمًا وَهُوَ يَغْدُو نَحْوَهُ وَيَنْبُحُ
بِشِدَّةٍ فَتَعَجَّبَ «سَعْفَان» مِنْ شَكْلِ الْكَلْبِ، إِذْ كَانَ يُشَبِّهُ كَلْبَ
الْحَطَّابِ الَّذِي اسْتَوَلَى عَلَى حَطْبِهِ، بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُ وَحَطَّمَ أَنْفَهُ
وَفَكَّهُ، ثُمَّ قَتَلَ كَلْبَهُ.

تَرَجَعَ «سَعْفَان» إِلَى الْوَرَاءِ مَذْعُورًا وَقَالَ: «لَا بُدَّ أَنْ هَذَا
الْكَلْبُ جَاءَ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي، لِمَا سَبَيْتُهُ مِنْ أَدَى لِصَاحِبِهِ، وَلَكِنْ
عَجَبًا كَيْفَ عَادَ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، بَعْدَ أَنْ قَتَلْتُهُ؟»

وَقَفَرَ الْكَلْبُ نَحْوَ «سَعْفَان»، فَجَرَى مَذْعُوراً، وَهُوَ يَصْرُخُ
مُسْتَغِيثاً مِنَ الْكَلْبِ، الَّذِي كَانَ أَضْخَمَ مِنْهُ حَجْماً كَأَنَّهُ وَخْشٌ
مُفْتَرِسٌ، أَوْ فِيلٌ يُطَارِدُ إِنْسَاناً.

وَوَقَعَ «سَعْفَان» فَوْقَ الْأَرْضِ مُتَدَحْرِجاً، وَخُدِشَتْ يَدَاهُ
وَقَدَمَاهُ، وَأَنْقَضَ عَلَيْهِ الْكَلْبُ فَعَضَّهُ فِي يَدَيْهِ وَسَاقِيهِ عَضَّاتٍ
مُؤْلِمَةً. فَصَرَخَ «سَعْفَان» مُسْتَغِيثاً وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْكَلْبِ
بَعِيداً عَنْهُ بِسَبَبِ ضَعْفِ قُوَّتِهِ، وَلَمْ يَتْرِكِ الْكَلْبُ «سَعْفَان» إِلَّا
بَعْدَ أَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَاتَ، فَأَنْصَرَفَ مُبْتَعِداً، وَعَادَ إِلَى كُوخِ
«سَعْفَان» الْمُهْدَمِ، فَمَزَّقَ حَشِيَّةَ نَوْمِهِ بِأَسْنَانِهِ، وَأَلْقَاهَا بَعِيداً.

نَهَضَ «سَعْفَان» مُتَأَلِّماً بِشِدَّةِ، وَآثَارِ أَسْنَانِ الْكَلْبِ غَائِرَةً
فِي يَدَيْهِ وَسَاقِيهِ، وَسَارَ وَهُوَ يَحْجِلُ وَيَعْرِجُ فَوْقَ سَاقِيهِ الْمُتَوَرِّمَتَيْنِ
مِنْ عَضِّ الْكَلْبِ.

تَأَمَّلَ «سَعْفَان» عَضَّاتِ الْكَلْبِ فَوْقَ جَسَدِهِ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ
حَزِيناً نَادِماً: «لَوْ لَمْ أَوْذِ ذَلِكَ الْحَطَّابَ الْفَقِيرَ وَأَقْتُلْ كَلْبَهُ، مَا
طَارَدَنِي الْكَلْبُ وَعَضَّنِي بِهِذِهِ الْقَسْوَةِ».

وعادَ «سَعْفَان» إِلَى كُوخِهِ، فَوَجَدَ فِرَاشَهُ مُمَزَّقاً، وَلَا شَيْءَ
هُنَاكَ غَيْرَ الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ. . . الَّتِي كَانَ طَوْلُ سَعْفَانِ بِالْكَادِ يَصِلُ
إِلَى ضَرْعِهَا.

قَالَ «سَعْفَان» لِنَفْسِهِ: «فَلَا أَخُذُ قِسْطاً مِنَ الرَّاحَةِ، فَرُبَّمَا
عِنْدَمَا أَنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ، أَصْحُو وَأَجِدُ نَفْسِي وَقَدْ اسْتَعْدْتُ حَجْمِي
الْحَقِيقِيَّ، وَقُوَّتِي الْأَصْلِيَّةَ، وَأَنْتَقِمُ مِنْ كُلِّ مَنْ آذَوْنِي».

وَجَاهَدَ حَتَّى اسْتَطَاعَ حَلَبَ الْعَنْزَةِ، فَقَدْ كَانَ ضَرْعُهَا كَبِيراً
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَبِالْكَادِ اسْتَطَاعَ الْحَصُولَ عَلَى بَعْضِ لَبْنِهَا، بَعْدَ
أَنْ وَقَفَ فَوْقَ حَجَرٍ صَغِيرٍ وَحَلَبَ بَعْضَ اللَّبَنِ فِي فَمِهِ.

وَنَامَ «سَعْفَان» بَعْدَهَا نَوْماً عَميقاً. . . وَصَحَا فِي الصُّبْحِ
التَّالِي عَلَى صِيَاحِ الدَّيْكَ.

تَعَجَّبَ «سَعْفَان» وَفَرَكَ عَيْنَيْهِ مِنْ أَثَرِ النَّوْمِ مَذْهُوشاً وَهُوَ لَا
يَذَرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى هَذَا الدَّيْكَ الَّذِي صَاخَ وَأَيَّقَظُهُ مِنْ نَوْمِهِ.

وَأَنْتَبَهَ «سَعْفَان» عَلَى نَفْسِ الْأَمْرِ الْعَجِيبِ الَّذِي أَصْبَحَ
يَحْدُثُ لَهُ كُلَّ مَرَّةٍ يَنَامُ فِيهَا، فَقَدْ كَانَ طَوْلُهُ قَدْ قَصُرَ أَيْضاً هَذِهِ
الْمَرَّةَ فَصَارَ لَا يَزِيدُ عَنْ شِبْرِ وَاحِدٍ.

صاح «سَعْفَان» مَفْزوعاً: «ما الَّذِي يَجْرِي لِي . . وَكَيْفَ
يَنْقُصُ طُولِي كُلَّ مَرَّةٍ بِمِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ؟»

وهُنَا سَمِعَ صِيَاخَ الدَّيْكِ مَرَّةً أُخْرَى يَأْتِي مِنَ الْخَلْفِ،
فَتَلَقَّتْ مَذْعُوراً، وشَاهَدَ دَيْكاً كَبِيراً يَرْمِقُهُ بِعَيْنَيْنِ حَادَّتَيْنِ، كَأَنَّ
الشَّرَّ سَيَنْطَلِقُ مِنْهُمَا. وَتَذَكَّرَ «سَعْفَان» ذَلِكَ الدَّيْكَ، فَقَدْ كَانَ
يُشْبِهُ دَيْكَ الْأَرْمَلَةِ صَاحِبَةِ الدَّجَاجِ وَالْبَيْضِ، الَّتِي كَسَرَ سَاقَهَا
وَصَرَغَ دَيْكُهَا، وَاسْتَوَلَى عَلَى بَيْضِهَا وَدَجَاجِهَا.

قَالَ «سَعْفَان» فِي نَفْسِهِ مَذْهُولاً: «هَذَا عَجِيبٌ، كَيْفَ عَادَ
هَذَا الدَّيْكَ أَيْضاً إِلَى الْحَيَاةِ؟»

وَلَكِنَّ الدَّيْكَ لَمْ يُمَهِّلْهُ، وَأَتَدَفَعَ نَحْوَهُ مُهَاجِماً، يَبْغِي نَقْرَهُ
بِمِنْقَارِهِ الْحَادِّ، فَفَزِعَ «سَعْفَان»، لِأَنَّ الدَّيْكَ كَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ
حَجْماً، وَطَوَّلَ سَعْفَانُ لَا يَكَادُ يَصِلُ إِلَى أَرْتِفَاعِ الدَّيْكِ فَجَرَى
مَذْعُوراً، وَصَرَخَ مُسْتَنْجِداً، وَهُوَ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يَحْتَمِي بِهِ مِنَ
الدَّيْكِ الْغَاضِبِ.

وَأَنْقَضَ الدَّيْكَ عَلَى «سَعْفَان» فَأَخَذَ يَنْقُرُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ،
و«سَعْفَان» يَصْرُخُ مُسْتَعِيثاً، بِدُونِ أَنْ يُنْقِذَهُ أَيُّ إِنْسَانٍ، حَتَّى ظَهَرَ



الِدَّمُ مَكَانَ نَقَرَاتِ الدَّيْكِ، وَتَوَرَّمَتْ ذِرَاعَا وَسَاقَا سَعْفَانَ،
وَأَوْشَكَ عَلَى الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ، فَتَرَكَهُ الدَّيْكَ وَآخَتَفَى .

بَكَى «سَعْفَانَ» مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ وَقَالَ: «لَوْ لَمْ أُوِذْ صَاحِبَةً
هَذَا الدَّيْكِ وَأَقْتُلَهُ مِنْ قَبْلُ، مَا آذَانِي بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَسْوَةِ،
وَلَأَشْفُقَ عَلَيَّ بِسَبَبِ ضَعْفِي وَضَالَّةِ حَجْمِي» .

وَتَذَكَّرَ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَ قَوِيًّا عَظِيمًا، أَقْوَى مِنْ
كُلِّ النَّاسِ، كَانَ يُفَاخِرُ بِقُوَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَمْ تَأْخُذْهُ الرَّحْمَةُ بِأَيِّ
إِنْسَانٍ، كَبِيرًا أَوْ صَغِيرًا . . قَوِيًّا أَمْ ضَعِيفًا .

قَالَ «سَعْفَانَ» لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ: «لَقَدْ لَاقَيْتُ
الْجَزَاءَ مِنْ نَفْسِ جِنْسِ الْعَمَلِ . . لَوْ كُنْتُ أُعْرِفُ أَنَّ هَذَا مَا
سَيَجْرِي لِي، مَا أَصَابَنِي الْغُرُورُ أَوْ تَعَاظَمْتُ عَلَى النَّاسِ» .

وَأَقْتَرَبَتِ الْعِزَّةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ «سَعْفَانَ» وَأَخَذَتْ تَلْحَسُ
جِرَاحَهُ بِلِسَانِهَا فِي إِشْفَاقٍ، فَقَالَ لَهَا «سَعْفَانَ»: «أَيُّهَا الْعِزَّةُ
الْكَرِيمَةُ، أَنْتِ الْآنَ تُقَدِّمِينَ لِي الْمَعْرُوفَ وَالْإِحْسَانَ، وَأَنَا الَّذِي
أَسْتَوَلَيْتُ عَلَيْكَ مِنْ صَاحِبَتِكَ، وَلَمْ أَشْفُقْ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا صَغِيرَةٌ
وَيَتِيمَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا غَيْرُكَ لِتَوَانِسِيهَا وَتُطْعِمِيهَا، وَلَا بُدَّ أَنْ لَبَنُكَ هُوَ

الَّذِي غَيَّرَنِي بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَبَدَّلَ طَوْلِي قِصْرًا، وَقُوَّتِي ضَعْفًا،
فَهَذَا هُوَ مَا يَفْعَلُهُ الشَّيْءُ الْمَسْرُوقُ وَالْمَنْهُوبُ وَالْحَرَامُ عِنْدَمَا
يَسْتَحِلُّهُ الْإِنْسَانُ. . لَيْتَنِي كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِدَ صَاحِبَتِكَ حَتَّى
أُرَدِّكَ إِلَيْهَا، وَأَعْتَذِرَ لَهَا، عَسَى أَنْ يَغْفَرَ اللَّهُ ذُنُوبِي، وَيَشْمَلَنِي
بِرَحْمَتِهِ».

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ حَدَثَ أَمْرٌ عَجِيبٌ، فَقَدْ ظَهَرَتِ الْفَتَاةُ
الْيَتِيمَةُ، صَاحِبَةُ الْعِزَّةِ الصَّغِيرَةِ، ظَهَرَتْ فَجَاءَةً كَأَنَّمَا أَنْشَقَّتِ
الْأَرْضُ عَنْهَا، أَوْ كَأَنَّمَا هَبَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ
تَرْتَدِّي مَلَابِسَهَا الْبَيْضَاءَ اللَّامِعَةَ، وَقَدْ آزَدَادَ وَجْهَهَا بَرِيقًا وَتَأَلَّقَا
وَنُورًا، كَأَنَّهُ الشَّمْسُ السَّاطِعَةُ.

هَتَفَ «سَعْفَان» لِلْفَتَاةِ بِضِرَاعَةٍ: «أَيُّهَا الصَّغِيرَةُ، يَا مَنْ لَا
أُدْرِي إِنْ كُنْتَ مَلَاكًا أَمْ إِنْسَانًا. . لَقَدْ ظَلَمْتُكَ وَظَلَمْتُ غَيْرَكَ بِمَا
فَعَلْتُ فِي السَّابِقِ، وَتَجَبَّرْتُ وَبَغَيْتُ بِقُوَّتِي، وَنَسِيتُ أَنَّ اللَّهَ إِنْ
كَانَ قَدْ مَنَحَنِي الْقُوَّةَ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى اسْتِرْدَادِهَا مِنِّي، فَاصْبِرْ
ضَعِيفًا، مُحْسُورًا. . أَرْجُوكِ أَيُّهَا الْفَتَاةُ الْكَرِيمَةُ سَاعِدِينِي كَيْ
أَسْتَرِدَّ قُوَّتِي الضَّائِعَةَ، وَأَعِدُّكِ أَنْ أَكُونَ مِثَالًا لِلْعُطْفِ وَالرَّحْمَةِ،

فَلَا أَظْلِمُ إِنْسَاناً بَعْدَ الْآنَ، وَلَا أَتَكَبِّرُ أَوْ أَتَجَبَّرُ أَوْ يُصِيبُنِي
الْغُرُورُ».

قَالَتِ الْفَتَاةُ الْمَلَائِكِيَّةُ الشَّكْلَ وَنُورَهَا يَزْدَادُ: «إِنْ كَانَتْ
نِيَّتُكَ فِي التَّوْبَةِ صَادِقَةً فَسَوْفَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ كُلَّ مَا فَاتَ».

وَحَلَبَتْ عَنزَتَهَا وَقَدَّمَتْ لَبَنَهَا «لِسَعْفَانَ» وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ
يَشْرِبَهُ، فَشَرِبَهُ «سَعْفَانَ» وَعَيْنَاهُ مُبَلَّلَتَانِ بِدُمُوعِ التَّوْبَةِ، وَقَلْبُهُ
مَلِيءٌ بِالنَّدَمِ.

وَمَا إِنْ شَرِبَ «سَعْفَانَ» اللَّبَنَ حَتَّى تَبَدَّلَ مَرَّةً أُخْرَى، فَصَارَ
كَمَا كَانَ، طَوِيلًا عَرِيضًا قَوِيًّا، أَقْوَى مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ، صَرُخَتْهُ تَهْزُؤُ
الْجِبَالِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى هَزِيمَتِهِ أَلْفٌ مِنَ الرُّجَالِ.

فَرِحَ «سَعْفَانَ» وَقَدْ عَادَ قَوِيًّا كَمَا كَانَ، وَقَالَ لِلْفَتَاةِ
الْمَلَائِكِيَّةِ الْوَجْهِ: «شُكْرًا لِكَ أَيْتَهَا الْفَتَاةُ الْكَرِيمَةُ.. أَعِدُّكَ مُنْذُ
الْآنَ أَنْ أَكُونَ مِثَالًا لِلْإِنْسَانِ الْعَادِلِ الْعَاقِلِ الَّذِي لَا يَغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ،
وَلَا يَسْتَخْدِمُهَا فِي إِيْذَاءِ الْآخَرِينَ».

وَأَخْتَفَتِ الْفَتَاةُ وَعَنَزَتْهَا فَجَاءَةً، فَفَرَكَ «سَعْفَانَ الْجَبَّارَ» عَيْنَيْهِ
مُنْذِهِشًا، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «تُرَى هَلْ كَانَ مَا شَاهَدْتَهُ حُلْمًا أَمْ
حَقِيقَةً؟»

وسارَ في الحالِ إِلَى قَصْرِ الوالي ، وَعِنْدَمَا شَاهَدَهُ جُنُودُهُ
أَرْتَعَبُوا وَخَافُوا، وَلَكِنَّ «سَعْفَانَ» طَمَأْنَهُمْ وَبَدَّدَ خَوْفَهُمْ، وَقَابَلَ
الوالي فَتَأَسَّفَ لَهُ عَمَّا كَانَ مِنْهُ، وَوَعَدَهُ بِالْأَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْإِنْسَانِ بَعْدَ
الْآنَ، أَوْ يَتَكَبَّرَ وَيَتَجَبَّرَ، وَأَنْ يَسْتَخْدِمَ قُوَّتَهُ الَّتِي وَهَبَهُ اللَّهُ لِيَاَهَا
فِي الْخَيْرِ وَخِدْمَةِ النَّاسِ وَلَيْسَ لِإِيْدَائِهِمْ.

ثُمَّ ذَهَبَ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» إِلَى سُوقِ الْمَدِينَةِ، وَعِنْدَمَا
شَاهَدَهُ رُؤَادُهَا خَافُوا مِنْهُ وَكَادُوا يَفْرُونَ مَفْرُوعِينَ، وَلَكِنَّ «سَعْفَانَ
الْجَبَّارَ» طَمَأْنَهُمْ وَاعْتَذَرَ لَهُمْ عَمَّا فَعَلَهُ بِهِمْ فِي السَّابِقِ، وَوَعَدَهُمْ
أَنْ يَكُونَ لِلْجَمِيعِ أَخًا كَرِيمًا.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمْ يَعُدْ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ» يَسْتَخْدِمُ قُوَّتَهُ إِلَّا
فِي الْخَيْرِ، فَيَقْدِّمُ الْمُسَاعَدَةَ لِمَنْ يَحْتَاجُهَا، وَلَا يَظْلِمُ إِنْسَانًا أَوْ
يَعْتَدِي عَلَى ضَعِيفٍ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي اشْتَرَاهُ
بِمَالِهِ، وَلَا يَلْبَسُ إِلَّا الرِّدَاءَ الَّذِي كَسَبَهُ مِنْ عَمَلِهِ، وَصَارَتْ لَهُ
أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ مِنْ عَمَلِهِ، أَخَذَ يَمْنَحُ مِنْهَا الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ فَصَارَ
مَحْبُوبًا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَعَاشَ سَعِيدًا مَسْرُورًا وَهُوَ يَحْمَدُ اللَّهَ
وَيَشْكُرُهُ عَلَى نِعْمَتِهِ الَّتِي وَهَبَهُ لِيَاَهَا. . وَلَمْ يَعُدْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.

* * *

سَعْفَانُ الْجَبَّارِ

أسئلة:

- ١ - لماذا لقب سَعْفَانُ بِالْجَبَّارِ؟
- ٢ - ما كانت مهنته وإلامَ تحوَّلت حياته؟
- ٣ - كيف كانت تصرفاته مع الناس؟ أهي ودودة أم متوسلة أم عنيفة؟ اعطِ مثلاً واحداً.
- ٤ - ما كان موقف الوالي من سَعْفَانٍ وهل تغير؟
- ٥ - اذكر تأثير لبن الماعز على سَعْفَانِ.
- ٦ - ما الدرس الذي تعلمه سَعْفَانُ مِنَ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ؟
- ٧ - اعطِ الحكمة المستخرجة من هذه القصة.

اشرح:

خِيَلَاءَ - شَمَل - سَرُوجَ - يَتَبَدَّدُ نَظَامُهَا - غُرُورَ .

إعراب:

- هَرَبَ النَّاسُ مِنْ وَجْهِهِ يَبْتَغُونَ السَّلَامَةَ .
- لَمْ يَشَاهِدِ الطِّفْلَةُ الصَّغِيرَةُ كَأَنَّمَا انشَقَّتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْهَا .

هذه السلسلة تتضمن :

- ١١ - مغامرات عقلة الإصبع
- ١٢ - المرأة العجيبة
- ١٣ - الجوهرة الغالية
- ١٤ - البطل الصغير
- ١٥ - علاء الدين والحصان الطيار
- ١٦ - الجزيرة المسحورة
- ١٧ - ذات الشعر الذهبي
- ١٨ - سقافان الجبار
- ١٩ - كثر الشاطر حسن
- ٢٠ - الحلم العجيب

- ١ - القصر المسحور
- ٢ - الفارس العظيم
- ٣ - القرصان والبهلولان
- ٤ - نور والأميرة بدور
- ٥ - أميرة البحر الفضي
- ٦ - جنية الأمنيات الطيبة
- ٧ - كهرمان والأمير بهاء الدين
- ٨ - الحصان السحري
- ٩ - جبل السحاب
- ١٠ - الفارس المقنع



سَعْفَانُ الْجَبَّارِ

كان سَعْفَانُ رجُلًا فقيرًا، وَلَكِنَّهُ اشتهرَ بِقُوَّتِهِ
الخارقةِ وشجاعتهِ التي لا مثيلَ لها، لِذَلِكَ اُسْمَاهُ
النَّاسُ «سَعْفَانُ الْجَبَّارُ».

وعندما هَجَمَ الأعداءُ عَلَى البلادِ، قاتَلَهُمْ
سَعْفَانُ فَشَتَّ شَمْلَهُمْ وَبَدَّدَ خَيْلَهُمْ.. وكان سَببًا في
هَزِيمَتِهِمْ وَدَحْرِهِمْ، فَكانَ أَن أَصابَهُ الغرورُ، وأدركَ
أَن أَحَدًا لا يُمكنُهُ هَزِيمَتُهُ وَمُنازَلَتُهُ، فراحَ يُغَيِّرُ عَلَى
السُّكَّانِ الأمانينَ وَيَسْلُبُهُمْ مَتاعَهُمْ وَأموالَهُمْ وَيَضائعَهُمْ
دُونَ أَن يَجْرَوْا إِنسانًا عَلَى مَنعِهِ، ولا حتَّى جُنُودُ الواليِ
وَجَيْشُهُ العَظِيمُ..

ولكنَّ فتاةً صَغيرةً فقيرةً وحيدةً تَمَكَّنَتْ مِن
إِعْطاءِ سَعْفَانِ دَرْسًا قاسِيًا.. واستطاعتْ هَزِيمَتُهُ
وإِضعافُهُ.. فَكَيْفَ حَدَثَ هَذَا؟